مكتبة السهيلي
٣

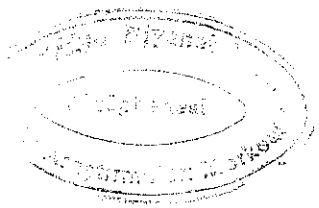

كتاب
الفرائض وشرح آيات الوصية

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

تحقيق

د. محمد ابراهيم البنا

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية
والدراسات الإسلامية. والمعار من جامعة الأزهر

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Demirbaş No: 30166
Tasnif No:

منشورات جامعة قاريونس

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© جامعة قاريونس

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المُحَقِّق

لقد أبقى الزمن على مخطوطة ثالثة ، هي هذه التي أقدمها للمطبعة العربية ، بعد مخطوطتين سابقتين ، هما : الأمالي ، ونتائج الفِكْر في النحو ، وبذلك يكتمل عِقْدُ مصنفات السهيلي الخمسة ، فمن قبل عرفت المطبعة العربية له كتابين آخرين هما : الروض الأنف ، والتعريف والاعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام . وسيبقى للسهيلي بعد هذا مسائل وأمالٍ متناثرة في موضوعات مختلفة ، نرجو أن يكشف عنها الزمن خباءه ، حتى تُعرَفَ آثاره كاملة ، وتبدو صفحة هذا الأستاذ الأندلسي .

١ – المؤلف :

وُلِد الإمام أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله السُّهيلي الخثعمي سنة ٥٠٨ هـ في بيت علم وخطابةٍ[١] ، وكانت البيئة الأولى التي أظلته هي إقليم « مالقة » ، وكانت « مالقةُ » إحدى قواعد الأندلس الإسلامية الهامة ، وأعظم ثغور هذا القطر على البحر الأبيض ، وقد أسهمت في مختلف العلوم ، ونَبَغَ منها العلماء والأدباء ، فأخذ عن شيوخها القراءاتِ والفقه والنحو ، والأدبَ والشعر ، والحديث وعلم الكلام . وكان أعظم شيوخه أثراً في حياته هو الأستاذ أبو الحسين بن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ) الذي أثر في فكره اللغوي والنحويّ تأثيراً كبيراً . وعلى الرغم من ضَرَر السهيلي ونُحوله وَزَمانة مرضه فقد ارتحل طالباً للعلم ، يُعينه على مشاقّ الرحلة عزمٌ قويٌّ ، وذكاء

---

(١) أنظر الروض الأنف ١١٣/١ ، والتكملة ٤٤/١ ، وطبقات إبن قاضي شهبة ١٨٤/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢/٤ .

نافذ ، ونُبوغ مبكر ، وشهادة شيوخه الأوائل له بالسبق والتقدم ، فخرج أولاً إلى قرطبة فأخذ عن شيوخها القراءاتِ القرآنيةَ والأدب واللغة ، ثم انتقل إلى إشبيلية ، وكانت تجمع في هذا الحين أعلام الأندلس في الحديث والفقه والقراءات ، والنحو والأدب ، فأخذ عنهم ، وحظي بلقاء الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي (٤٦٨–٥٤٣ هـ) ، وكان كما يقولون : ختامَ علماء الأندلس ، فأخذ عنه وروى سماعاته في الحديث والأصول والتفسير ، وتخرج عليه[1] . ويبدو أنه أقام فترة في إشبيلية[2] ، كما يبدو أنه دخل غرناطة[3] . وقد انتهى به المطاف إلى بلده مالقة ، فحدَّث بها ، وكانت له فيها حلقة وتلاميذ ، وأقبل عليه الطلبة يأخذون عنه النحو والأدب ، والفقه والحديث والأخبار ، ويروون كتبه ، وذاع صيته في الأندلس ، وانتشرت مؤلفاته ومسائله . ولما عرف أميرُ الموحدين العالمُ أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (ت ٥٨٠ هـ) مكانته ، استقدمه إلى مراكش ، وقرّبه . وقيل : إنه أُسنِدَ إليه هنالك منصبُ قاضي القضاة[4] ، وأنه كان محمود السيرة . فأقبلت عليه الدنيا في أخريات أيامه ، ولم يخل مُقامُه من حسد الحاسدين ؛ ويصوّر ابن دِحْيَةَ تلميذُه حياتَه في مرَّاكش بقوله : « وكان وصوله إلى الحضرة والعمر قَد عَسا وذَبَل عوده ، وذهب العيش وأفل سُعُوده ، فعندما عاش مات »[5] .

وكانت وفاته – رحمه الله – « بحضرة مراكش يوم الخميس ، ودفن في ظهره ، وهو اليوم السادس والعشرون من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة »[5] .

* * *

(١) أنظر المطرب لإبن دحية ٢٣٠–٢٣٢ .
(٢) نفح الطيب ٣٨١/٤ ، والاحاطة ٤٧٩ .
(٣) بغية الوعاة ٨١/٢ .
(٤) تذكرة الحفاظ ١٤٣/٤ .
(٥) المطرب ٢٣٣ . هذا وقد ذكرنا في مقدمة كتاب « نتائج الفكر » تعريفاً وافياً بحياة السهيلي وعصره ، وأعددنا عنه دراسة مكتملة مستقلة ، سوف تخرج قريباً .

٢ – الكتاب :

أ – بدأت معرفتي به من عدة مراجع :

١ – كتاب « الروض الأُنُف » للمؤلّف ، فقد ذكر السهيلي مرة أن له كتاباً في « شرح آية الوصية » ، ومرة أخرى قال إنه يدعى : « كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية »[1] .

٢ – التكملة لابن الأبار ، فقد ذكر أن للسهيلي كتاباً في شرح آية الوصية[2] .

٣ – إشارة التعيين ، وفيها : « له كتاب في شرح آية الوصية »[3] .

٤ – تذكرَ الحفاظ للذهبي ، قال : « وله كتاب في الفرائض »[4] .

٥ – البداية والنهاية لابن كثير ، قال : « وله مسألة في الفرائض بديعة »[5] .

٦ – وأخيراً ذكر بروكلمان أن للسهيلي رسالة في علم الفرائض ، وأنه توجد نسخة منه في المتحف البريطاني ، ولم يشر إلى وجود نسخ أخرى لها[6] .

ب – وصف المخطوطة :

وقد وُفِّقتُ في الحصول على ميكروفيلم لها من المتحف البريطاني ، وبتكبيره تبيّن أنه يشتمل على ثلاث رسائل :

١ – رسالة السهيلي في الفرائض ، وتقع في خمس وعشرين لوحة ، كل لوحة تشتمل على ٥٠ سطراً في جانبيها ، وكتبت بقلم مغربي ، وهي غُفلٌ من العنوان ، وتقع ضمن مجموعة ، بدليل أن اللوحة الأولى تبتدئ بالرقم اللاتيني ٢١٩ .

(١) الروض الأنف ١٢/٢ ، ٢٢ .
(٢) التكملة ٥٧١/٢ .
(٣) إشارة التعيين ، ورقة ٢٧ .
(٤) التذكرة ١٤٢/١ .
(٥) البداية والنهاية ٣١٨/١٢ .
(٦) تاريخ الأدب العربي ١٤١/١ .

وقد بُدِئَتْ هذه المخطوطة بعد البسملة بهذا النص : « قال الشيخ الإمام المحدّث أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن السهيلي ... » ثم مقدمة الكتاب التي افتتحت بقوله : « الحمد لله الذي له ميراث السموات والأرض وهو على كل شيء قدير ... » . وختمت بقوله : « وَصَلِّ اللهم على نبيك ومجتباك من خلقك ، سيدنا ومولانا محمد ، نبي الرحمة ، وشفيع الأمة ، عَدَدَ ما ذكرك الذاكرون ، وغَفَل عن ذكرك الغافلون ، وسلِّمْ كثيراً دائماً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين » .

٢ – رسالة أخرى في الفرائض ، غير مُعَنْوَنَة أيضاً ، ولم أتبين بعدُ اسم صاحبها ، وتقع في اثنتي عشرة لوحة ، ولا يفصلها عن رسالة السهيلي إلا فَرَاغ من الصفحة يسع سطراً واحداً .

٣ – رسالة ثالثة في الفرائض كذلك ، وهي لأبي العباس أحمد بن البنا ، وتقع في تسع لوحات .

ويرجع تاريخ النسخ إلى القرن الثاني عشر ، فقد ذكر الناسخ في نهاية الرسائل : « تمّت ، وبالخير عمت ، في أوائل محرم الحرام ، في عام ١١٣٧ » .

جـ ـ توثيق الكتاب :

لا يَسَعني – وقَد عِشتُ مع السُّهيليِّ ، وتفرغت لدراسته فترةً من الزمن – إلا أن أحكم بأنَّ هذا الكتاب من نتاجه ، وإنه لو لم تتردد فيه بعضُ المسائل التي عرفناها له في كتبه الأخرى ، ولو لم يُشر في مصنفاته إلى كتابه هذا وما أودعه فيه – لكان لي بعض الحق إذا سارعتُ فنسبتُ كتاب الفرائض إليه ؛ ذلك أن رُوح المؤلف واتجاهه باديان في أسلوبه ومعالجته للنصوص وفي استنباط الأحكام ، وباديان كذلك في حديثه عن الإعجاز في كتاب الله العزيز ، وبلاغة رسوله عليه السلام ، ومع ذلك لدينا من نصوص الكتاب ما يوثقه ويرفعه إلى صاحبه :

١ – تناول المؤلف في تفسير قوله تعالى : (من بعد وصية يوصى بها أو دين) أسباب تقديم الوصية على الدين ، ثم استطرد فذكر أسباب التقديم والتأخير

في كتاب الله ، وهي من مباحثه في الإعجاز ، التي أفاض في الحديث عنها في كتابه « نتائج الفكر » ، وأجملها عرضاً في هذا الكتاب ، مع احتفاظها بطابعه وأسلوبه وأمثلته ، ولم يعهد هذا البحث لأحد قبله [١] .

٢ – من آراء السهيلي أن صِفة المصدر المحذوف تعرب حالاً ، وقد وَجَّه إعرابها في الروض والنتائج وفي هذا الكتاب توجيهاً واحداً [٢] .

٣ – فَسَّر المؤلف سورة الكوثر في « الروض » وفي هذا الكتاب تفسيراً واحداً [٣] .

٤ – عرفنا أن المؤلف أحال على هذا المصنف في كتابه « الروض الأنف » مرتين ، قال أولاً : « وبين (من) الداخلة على الزمان ، وبين (منذ) فرقٌ بديع ، قد بيناه في شرح آية الوصية » [٤] .

وقال ثانياً : « وقد أملينا فيها [أي : الأرحام] في غير هذا الكتاب ، ما نُقيِّده ها هنا بحول الله ، وأملينا أيضاً في معنى الرحم واشتقاق الأم [٥] ، لإضافة الرحم إليها ووضعها فيه عند خلق آدم وحواء ، وكون الأم أعظم حظاً في البّر من الأب ، مع أنها في الميراث دونه : أسراراً بديعة ، ومعاني لطيفة ، أودعْناها كتاب « الفرائض وشرح آيات الوصية » ، فَلْتُنظر هناك » .

وقد تحدثَ السُّهيلي عن مَعنى (من) في كتاب الفرائض ؛ بيد أني لم أَجِدْ هذه الموازنة التي عقدها بين (من) ، و (منذ) ، ولكنه ذكر في قوله تعالى : (من بعد وَصِيَّةٍ) حديثاً يقوم على النظر في متعلق (من) بينأن يكون دائماً أو منقضياً ، وما يترتب على ذلك من تمام الكلام معها على الأول ونقصانه على الثاني ، قال : « حرف (من) إذا دخل على الظرف دلّ على ابتداء غايةٍ ولم يدلّ على انتهاء ،

---

(١) الفرائض ، ورقة ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٠ . والنتائج ورقة ٨٧ أ .

(٣) الروض ١/٢٤٠–٢٤١ ، والفرائض ، ورقة ٢٢–٢٣ .

(٤) الروض ٢/١٢ .

(٥) لم أجد في الفرائض حديثاً عن اشتقاق الأم ، وإنما هو عن اشتقاق الرحم من اسمه تعالى . ويبدو أن في الكلام سقطا .

تقول : نحن في هذا البلد من يوم كذا ، ومن عام كذا . فالمقام إذاً في البلد مستمر ، وإذاجئت بفعل منقضٍ غير مستمر قلت : كلمته عام كذا ، وقبل كذا ، وبعد كذا ، بغير (من) فيكون الظرف محيطاً بالفعل من طرفيه ، فإن جئت بمن لم تزل إلّا على الطرف الأول ، وهو الابتداء[1] » .

فهو حديث عن « من » ، لم يتعرض فيه لذكر « منذ » ، كما أني لم أجد هذه الموازنة في كتبه التي أتيحت لي ، على الرغم من ميله إلى عقد الموازنات وبيان الفروق بين المشتبهات ، ويبدو أنه قد ضمنها بعض مسائله التي استفاض الحديث عن كثرتها والتي لم تكتشف بعد ، وربما ألحقت بإحدى نسخ الفرائض وأما نسختنا فهي تمثل الصورة الأولى للكتاب ، وهناك احتمال ثالث أستبعده ، هو أن يكون في هذه النسخة التي بأيدينا سقط ، وهو بعيد ، لاتصال أسلوبها . ولست أدري ما الفرق البعيد الذي يعنيه السهيلي بين (من و (منذ) ، وربما كان الفرق الذي ذكره إبن هشام في « مغنى اللبيب » حيث قال : إن منذ تكون « بمعنى (من) و (إلى) جميعاً إن كان (الزمان) معدوداً ، ومثل له بقولهم : ما رأيته منذ ثلاثة أيام ، أي : من ثلاثة أيام إلى هذا اليوم الحاضر ، وقد رأينا السهيلي يقول في نصّه المتقدم : إن « من » إذا دخلت على الظرف لا تدل إلا على الطرف الأول وهو الإبتدأ .

وبعد ، فهذه الإحالة الأولى ، وإن لم نجدها في كتاب الفرائض ، فهي تثبت أن للمؤلف كتاباً في شرح آية الوصية .

أما حديثه عن الرحم واشتقاقه ، وكون الأم أعظم في البر حظاً من الأب ، فحديثٌ مكتمل في هذا الكتاب[2] ، كما ذكر المؤلّف في « الروض » في الإشارة الثانية ، وهو دليل رابعٌ من الروض الأنف ، يوثق الفرائض ويرفعه إلى صاحبه .

هذا ولا نترك هذا الجانب دون أن نشير إلى إحدى مشكلات الكتاب ، فقد

(١) الفرائض ، ورقة ٤ .
(٢) الفرائض ، ورقة ٦ ، ٧ .

أحال المؤلف فيه على كتابه « نتائج الفكر » ، فقال في حديثه عن العدد المركب ، وأنه ما فوق العشرة ، وأن البسيط ما دونها : « وقد ذكرنا في (نتائج الفكر) سرّ هذا التركيب واختصاصه بالكثرة [كذا ، والصواب : بالعشرة] ولم يكن فيما دونها ، ولا فيما هو أكثر »[1] .

وقد أشرنا في تقديمنا للنتائج إلى أننا لم نجد هذا الحديث فيها ، وذكرنا من الاحتمالات أنه لعل السهيلي سها في هذه الإحالة وأنه يعني كتاباً أو مسألة أخرى غير النتائج ، أو أنه قد وقع في « النتائج » سقط ، واستبعدنا هذا الاحتمال الأخير .

د – الترتيب الزمني للكتاب :

لقد تبين من توثيق الكتاب أن السهيلي قد أملاه بعد كتابه « نتائج الفكر » ، وقبل تصنيفه للروض الأنف ، يتضح هذا من إحالته على النتائج ، ومن تنبيهه في الروض على بعض مباحث هذا الكتاب .

هـ – منهج الكتاب :

افتتح السهيلي كتابه بالحديث عن علم الفرائض وشرفه ، ومكانة العالمين به ، ويمكن أن يقسم الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول : وذلك الذي يذكر فيه مصادر المواريث في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ؛ وقد عبّر عن هذه الأصول بقوله : « وقال السلف من العلماء : قد أبقى القرآن للسنة موضعاً ، وأبقت السنة موضعاً للاجتهاد والرأي »[2] . ويذكر قوله – عليه السلام – في زيد بن ثابت : « وأفرضهم زيد بن ثابت » . ثم يقول : « فصار قول زيد أصلاً عوّل عليه الفقهاء ، واستقر العمل به ، ولذلك أضربنا عن كثير من أقوال الصحابة – رضوان الله عليهم – إذ لم يجر بها ذكر عند حكام »[2] . وقال أيضاً في موطن آخر : « لم نتعرض لاستيفاء الأقوال وتفصيل المذاهب »[3] .

(١) الفرائض ، ورقة ١٧ .
(٢) الفرائض ، ورقة ١١ .
(٣) الفرائض ، ورقة ٢٢ .